التعليم الروحي
لقداسة البابا كيرلس السادس
عن الصوم وجحد الذات

مذكرات شخصية

دكتور

جورج حبيب بباوي

الصوم الكبير ٢٠١٠

مقدمة

في هذا الصوم الأربعيني كان الحديث طويلاً على غير العادة، وهذا بعضٌ منه. فقد أدرك القمص مينا المتوحد في ذلك الوقت أن التعليم الشائع عن الصوم انحصر في الانقطاع عن الأطعمة الحيوانية، والانقطاع عن الطعام حتى الساعة الثالثة بعد الظهر أو حتى غروب الشمس، وهو ما كان يمارسه هو بالفعل. وبذلك يكون هذا التعليم قد اكتفى بالسلوك الظاهر والنشاط الخارجي، أما ما يجب أن يحدث في القلب، فلم نسمع عنه شيئاً. صحيح أن ثمة توجيهات بالتوبة عن الكلام البطَّال والحلفان والشتائم وصون اللسان، والصوم عن الشرور ... الخ. وصحيح أيضاً أن التوبة عن هذه الأعمال نافعة حقاً بكل تأكيد، إلاَّ أن مجرد الكف عن هذه الأعمال ليس مطلوباً في حد ذاته؛ لأنها – كما كان يقول الراهب المتوحد القمص مينا – مجرد مظاهر خارجية لمرض كامن في النفس، وهو اغتراب النفس عن الرب يسوع المسيح، وعدم الالتصاق به. فالسلوك الخارجي ليس إلاَّ علامةً على ما يحدث في الداخل، ومظهراً لما هو متأصِّلٌ في النفس ..

من هنا بدأ التعليم في دقة ورقة وتواضع الأب مع ابن روحي مبتدئ لا يعرف إلاَّ القليل.

البداية الحقيقية لصوم النفس

قال لي بعد قداس يوم الأربعاء من الأسبوع الثاني من الصوم الكبير: الكلام اللي هقوله لك حطه في قلبك وعيش بيه. الإنسان الأول آدم لما تغرَّب عن الفردوس وعن الله نفسه، حبس نفسه في نفسه: يعني عاش جوه عقله وقلبه، واتحول حبه لله إلى حبه لنفسه فقط. عشان كده إحنا بنبتدي من أول السلم، يعني من أول السقوط.

الصوم هو صومٌ عن الإفراط في محبة النفس، أو حسب كلام رب المجد ربنا يسوع المسيح، هو جحد الذات. أنا عارفك كويس هتقول لي: طيب وابتدي إزاي؟ ها اقول لك: البداية سهلة وصعبه في نفس الوقت، فهي سهلة؛ لأنها واضحة في عقل الإنسان وفكره. وصعبة لأنها **عمل دائم للقلب والإرادة**. يعني لازم تترك النية والإرادة الخاصة بيك عشان تلتصق بالرب يسوع المسيح وحده.

يبقى الانقطاع عن الإرادة الذاتية والنية الذاتية بيتحقق بطلب اسم الرب يسوع المسيح زي ما في الإبصاليات الخاصة باسم رب المجد. وأنا لما قلت لك احفظ الابصاليات، موش عشان تبقى "عرِّيف (مرتل)"، ولكن عشان تتعلم إزاي تترك إرادتك الخاصة وتطلب إرادة الرب يسوع المسيح. يعني الممارسة هتكون صعبة عليك في الأول، ويمكن تكون غريبة على طبعك.

مثلاً: اخدم إخواتك قبل ما تخدم نفسك.

طيب هتقول: وأيه فايدة الانقطاع عن الأكل؟

هقولك: الانقطاع عن الأكل معناه أنك تترك الطعام؛ لأن الإنسان عنده إرادة، والإرادة بتطلب الأكل، عشان كده لما تبعد عن الأكل بإرادتك تعرف ازاي تبعد عن فكرك وعن ميولك وعن الأمور الخفية اللي خزنتها في قلبك. أصل القلب خزانة كبيرة فيها "كل شهوات الإنسان ورغباته".

ولما تصوم لازم تعتكف؛ لأن الاعتكاف هو انقطاع عن عشرة الناس. والاعتكاف معناه أنك تصلي وتدرس الكتب المقدسة، وحتى حضور صلوات الكنيسة هو نوع من الاعتكاف عن العالم.

المسيح الهنا الصالح يدي لك قوة روحية عشان أنت هتبتدي تبعد عن العالم بقلبك وهتمشي ورا (وراء) سيدك الرب يسوع.

الاعتراف بإلوهية رب المجد باطل إذا كان بالفم وباللسان وحده. لازم يكون عندك طاعة المحبة؛ لأن المحبة دي هي اللي هتدوَّرك وهتخليك تدور يعني تنقطع عن نفسك (استدارة الإنسان من الاتجاه للنفس والذات إلى الاستدارة إلى الله).

اسمع كلامي وأحفظه في قلبك وثبته في قلبك باسم وقوة الرب يسوع المسيح".

وبعد صلاة التحليل قال لي: التعليم سهل والتنفيذ صعب، لكن قوة الرب يسوع تسندنا؛ لأنه بيفرح بينا لما يلاقي النفس صايمة عن محبة الذات وترجع لمحبة الله.

ضعف الإرادة وكيف يُعالج

بعد قداس يوم الجمعة من نفس الأسبوع قال لي: الإرادة – يا ابني – ضعيفة بالطبيعة؛ لأن الإرادة بتتحرك حسب رغبات القلب وحسب محبة الإنسان. إحنا لازم نعرف أن المحبة هي قوة حقيقية تخلق الكثير وتدمر الكثير. بدون المحبة الإنسان مايقدرش يشيل صليبه ويتبع الرب يسوع. ضَعف الإرادة يساوي بالضبط ضَعف محبة الإنسان.

ومار اسحق بيقول إن عدم وجود هدف واضح للنفس، يشتت قوة النفس. وده قال عنه رب المجد: لا يستطيع أحد أن يخدم سيدين. يعني إذا الإنسان جمع محبته وخلاَّها من غير تشتُّت يبقى اتحرك في اتجاه صحيح، وده أول علاج للإرادة الإنسانية، أن الإنسان يمشي على رجليه الاثنين: المحبة، والهدف الواحد، وهو الرب يسوع عريس النفس الحقيقي اللي لازم نتحد بيه اتحاد أبدي.

كل يوم لازم يكون قدامك هدفك الواحد غير المتغير، وهو الرب يسوع. أن تحمل صليبك بمحبة.

كان فيه واحد من شيوخ الدير بيقول لنا واحنا لسة رهبان صغيرين: لازم تبيع نفسك للمسيح، يعني زي العبد اللي باع نفسه، ولم يعد في حياته سيد آخر غير

يسوع المسيح، وعشان ده يحصل لازم تطلب محبة الله النارية، الروح الناري اللي اتكلم عنه القديس انطونيوس [١].

بدون سكنى الروح القدس وعمله في النفس، تظل النفس الإنسانية عاجزة عن الإشتعال بالمحبة الإلهية, وعشان كده القديس الأنبا أنطونيوس سمى الروح القدس الروح الناري[٢].

يبقى علاج ضعف الإرادة زي ما قلت لك هوَّ المحبة والهدف الواحد.

طيب، في الممارسة لازم يكون قدامك قانون، موش للاستعباد، ولا هوَّ "مقطوعية" زي اللي بيشتغل في المباني .. ابدأ القانون – يا ابني – هو أنك تحدد لنفسك طريق. كانوا بيقولوا قانون، قانون، وبعدين سألت واحد من الشيوخ، فقال لي: يا مينا قانون الراهب هو حدود الرهبنة – القلاية – الصوم – الاعتكاف – الوحدة لما تكبر – وملازمة اسم الرب يسوع.

---

(١) أنظر رسائل القديس أنطونيوس الجزء الثاني (٨ – ١٩) – سلسلة نصوص آبائية ٤٤ – المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، حيث يقول: "الروح الناري العظيم الذي قبلته أنا أقبلوه أنتم أيضاً، وإذا أردتم أن تنالوه ويسكن فيكم فقدموا أولاً أتعاب الجسد وتواضع القلب، وارفعوا أفكاركم إلي السماء ليلاً ونهاراً، واطلبوا بكل قلبكم هذا الروح الناري القدوس وحينئذ يُعطى لكم، لأنه هكذا حصل عليه إيليا التشبِّي وأليشع وجميع الأنبياء الآخرين.

ولا تفكروا في قلوبكم وتكونوا ذوي قلبين وتقولوا: "من يستطيع أن يقبل هذا؟"، فلا تدعوا هذه الأفكار أن تدخل إلي عقولكم، بل اطلبوا باستقامة قلب وأنتم تقبلوه. وأنا أبوكم أجتهد معكم وأصلي لأجلكم لكي تقبلوه، لأني أعلم أنكم قد جحدتم ذواتكم لكي تستطيعوا أن تقبلوه. لأن كل من يفلح ذاته بهذه الفلاحة في كل جيل، فإنه ينال نفس الروح، الذي يسكن في المستقيمي القلوب. وأنا أشهد لكم، إنكم تطلبون الله بقلب مستقيم، فأدبموا باجتهاد من كل قلوبكم فإنه سيعطي لكم".

(٢) ألزمني القمص مينا المتوحد – قداسة البابا كيرلس السادس بدراسة رسائل القديس أنطونيوس. ووضع لي امتحان شفوي في ابريل ١٩٥٨.

طيب أنت قانونك هو حدود الصوم الكبير، وهي أنك إذا ما حضرتش القداس، تصلي وحدك، وبلاش الاهتمام بالناس. الاعتكاف للبقاء في شركة مع الرب يسوع. قلل كلامك علشان تصلي بقلبك؛ لأن ده هيشفي الإرادة ويرجَّع الإنسان إلى ربه وفاديه يسوع المسيح. القانون ده سهل لكن المثابرة هي الجوهر. مش لازم يوم يفوت عليك، بل ولا حتى ساعة من غير رشم الصليب، وملازمة اسم الرب يسوع، وهتلاقي فرح الفردوس في قلبك.

ربنا يكون معاك.

مرت السنوات الطويلة ولا زال القانون، أي حدود الحياة كما هو ..

صلِّ عني يا ابي البابا كيرلس السادس.

ابنك الروحي

جورج حبيب بباوي

كنيسة مار مينا — مصر القديمة

١٩٥٧ - ١٩٥٨